

إلى الإسلام من جديد

(٤)

نار نزع الله

الإسلام

وحيد الدين خان

AL-MISALA Book Camera
3, Nizamudain West Market,
New Delhi - 110013.
Tel : 2611128.

RS. 35

إلى الإسلام من جديد
(٤)

تاريخ الدعوة إلى الإسلام

وحيد الدين خان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

- القاهرة -

تاریخ الدّعوۃ إلی الإسلام

ال المسلمين (كَأْمَة) ينتمون إلى خاتم النبین ﷺ .

إنَّ هذه الحیثیة للMuslimین هي التي تحدد ماهیة المسئولیة التي نیطت بهم في هذه الدّنیا بصفتهم « أمة » وتلك المسئولیة هي قیامهم بعملیة الدّعوۃ إلى الله . تلك العملیة التي كان الأنبياء والرسُّل يُعثرون من أجل اضطلاع بها في العصور الماضیة . ولا شك أن سلسلة النبوة قد انقطعت بعد وفاة النبي العربي ﷺ ولكن العمل النبوی لم ینقطع ، وما زال مستمراً ومطلوباً بال تمام . والحقيقة هي أن المسلمين هم في مكان النبوة بعد انقطاعها ، ومن هنا فلا يمكن أن یتحقق وجودهم « كَأْمَة » بأیِّ عمل آخر غير اضطلاع بالعمل النبوی .

مه هو العمل النبوی ؟ إنه إيصال رسالة الله إلى عباده ، وإبلاغ دعوة التوحید إلى الغارقين في الشرك

والوثنية ، وإنذار الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً - باليوم الآخر الذي لا ريب في قدمه ، وإطلاع كل فرد من البشر على أنه ليس حراً طليقاً يتصرف في حياته كيف يشاء بل إنه تحت أوامر الله تعالى وهو مسئول عن تفاصيلها ، فعليه أن يعيش حياة ملتزمة منضبطة ، وليس له أن يعيش حياة متحررة ومنطلقة من كل القيود والحدود ، وبإيجاز إن العمل النبوي يتلخص في تبليغ ذلك العلم الرباني المحفوظ في صورة الكتاب والسنة إلى كافة البشر بطريقة كاملة مكتملة حتى لا يجد أحد منهم فرصة في الآخرة لأن يقول إنه كان غافلاً عن هذا ، وأن الدعوة لم تصل إليه .

هذه هي الفريضة الأصلية التي تعود مسؤوليتها على الأمة الإسلامية بحكم مركزها ومكانتها ، ولكن - للأسف الشديد - أن هذه الفريضة الكبرى قد أهملها المسلمون اليوم أشدّ إهمال ، وتقاعسوا عن تأديتها أكثر من أي شيء آخر ، وما من سبب لهذا الإهمال والتقاعس الإجرامي

سوى أن المسلمين المعاصرين قد أخذت مشاكلهم القومية
بمجامع قلوبهم ، وسيطرت على أذهانهم ، فتتج عن ذلك
أن قضية الدعوة وتبعاتها غابت واحتاجبت عن أنظارهم .
اتفق لي أن قابلت مسلماً كان يتمتع بشقاقة عالية -

أثناء إحدى رحلاتي إلى العالم العربي - وخلال حديثي معه
قلت له : « إن الواجب الحقيقى الملقي على عاتق المسلمين
هو أن ينهضوا بإبلاغ رسالة الإسلام إلى الأمم غير
المسلمة » . فأجابني حالاً : « وكيف يمكن ذلك !! فإن
المسلمين المعاصرين اليوم تنوء كواهلهم بأعباء المشكلات
التي تخصهم وإنهم لم يتمكنوا من تسويتها ، والتغلب عليها
حتى يجدوا الفرصة للقيام بنشر الدعوة فيمن دونهم من
الأمم .

إن الإجابة السابقة الذكر تدل على تلك الحالة
النفسية التي دفعت المسلمين في العصر الماضي إلى أن يبذوا
عملية الدعوة نبذًا كليًا ، إن ما استحوذ على مشاعرهم ،
وأخذ منهم كل مأخذ إنما هي مشاكلهم الدفاعية ، وأكبر

ما يهمهم يتمثل في زعمهم هذا : « إن كيائمه القومى
معرض للخطر ». ولذا فكل عنایتهم وطاقاتهم ارتكزت
وتحورت حول خطوط الدفاع ، وقد استولى هذا الهم
عليهم حتى أفقدتهم الوعي والشعور بمسؤوليات الدعوة ،
وما يبعث على الأسف أن فقدان الوعي الصحيح بالمسؤولية
أدى بالكثير من المسلمين إلى أن أضفوا عنوان « الدعوة
الإسلامية » على نمارساتهم الداعية .

إن هذا التفكير لا يمت بأية صلة إلى الإسلام ، ولا
إلى القرآن . فمن وجهة القرآن أن قضية حماية المسلمين
هي الأخرى منوطه بعملية الدعوة نفسها ، فلشن قام
المسلمون بعملية الدعوة إلى الله فإن كيائمه القومى مضمون
الحماية من قبل الله تعالى . ولكن لم يقوموا بعملية الدعوة
إلى الله ، فلا ضمان لحماية كيائمه القومى البتة ، وإذا كان
تاریخ العهود الإسلامية الماضية شاهداً على صدق الأمر
الأول ، فإن تاریخ العصر الحاضر للمسلمين يشهد على
صدق الأمر الثاني .

الحماية عن طريق الدعوة :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وبخصوص أسباب النزول لهذه الآية الكريمة ، وردت روایات عديدة في كتب الحديث والتفسير ، منها ما روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « لما بعثني الله برسالته ضفت بها ذرعاً ، وعرفت أنَّ من الناس من يكذبني فأنزل الله - تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ » وجاء في رواية أخرى أنَّ رسول الله ﷺ كان يحرس حتى نزلت هذه الآية ، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال : « انصرفوا أيها الناس ! فقد عصمني الله » (صفوة التفاسير ، المجلد الأول ، ص ٣٥٥) .

فمن هذه الآية يظهر بجلاء أن سر « العصمة من

الناس » إنما هو يكمن في « الدعوة إلى الله ». إذ كانت الظروف قاضية بحراسة الرسول وكلائه أما الآن فليس هناك حاجة إلى إفراد قطاع من الجهد لهذا الأمر ، لأن عملية الدعوة هي نفسها قد تكفلت له بالعصمة أيضاً ، وإن موعد العصمة من قبل الله في الأصل كان لرسوله بصورة خاصة ، ولكنها يشمل أمته أيضاً تبعاً له . إن هذه الحقيقة ذات أهمية أساسية وينبغي أن نستعرض ونعالج جميع شئوننا وقضاياانا في ضوء هذه الحقيقة ، فإذا ما أحاط أهل الإسلام بخطر يعكس مشكلة العصمة والحماية من دونهم ، فلا يكون له من سبب سوى أن الأمة قد أهملت فريضة الدعوة إلى الله ونبذتها ، وإذا ما نهضت الأمة بفريضة الدعوة إلى الله فلتستيقن أن الله قد ضمن لها العصمة من كل الأخطار والتهديدات الخارجية وليس هناك حاجة تبعث إلى إفراد قطاع من الجهد لمحابتها ... بل التركيز الكلي وبذل الجهد ينبغي أن يتوجه إلى الدعوة إلى الله ، وأما فيما يتعلق بالخواوف والأخطار الأخرى ، فالأخذ بالتربيص والصبر ، لأن أشباحها وظلالها الخفية ، تأخذ تتقلص

وتنحصر وتتلاشى تلقائياً فيما بعد . وتجنباً لسوء الفهم ينبغي أن نشير هنا إلى أن المراد بالدعوة في هذا المقام هو نشر الإسلام بين غير المسلمين ، وبعبارة أخرى إيصال رسالة الله إلى عباده الذين لم يدخلوا بعد في دائرة طاعة الله تعالى ، وحيثما ورد لفظ الدعوة أو التبليغ في القرآن الكريم فإنما ورد في هذا المعنى ، أي إيصال الدعوة إلى غير المسلمين ، أما ما يجب علينا حيال جماعة المسلمين أنفسهم ، فإن القرآن يذكره بكلمات : التذكير ، والإصلاح ، والتوصي بالحق ، والتوصي بالصبر ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وما إلى ذلك ...، ويمكن لنا أن نطلق اسم الدعوة والتبليغ على ممارسة الإصلاح الديني داخل المجتمع الإسلامي على سبيل المجاز إلا أن العملية التي سميت بالدعوة حقيقة إنما هي « عملية إبلاغ الأمم غير المسلمة برسالة الله » دون الإصلاح الداخلي للمجتمع المسلم .

وقد ذكر القرآن قصة « رجل مؤمن » في زمن سيدنا موسى عليه السلام ، كان من أمراء فرعون ،

آمن بالله ولم يزل يكتم إيمانه حتى كان اليوم الذي أصدر فيه فرعون قراره النهائي في شأن موسى ، وهو أنه سيقتله ويقضي على ما جاء به .. فلم يتمكن « الرجل المؤمن » من الصبر والسكوت على الحق ، فقام محامياً على موسى عليه السلام ، وكلم فرعون وأمراءه بأسلوب جعل كلامه خطاباً دعوياً بكل معاني الكلمة .

وهذه المرحلة كانت في غاية الحرج والخطورة ، فإن فرعون كان قد أعلن عداوته مع موسى صراحة ، فكان طبيعياً أن يصبح هو معادياً كذلك لمن أراد موالة موسى والقيام معه ، ويعاملهما بنوع واحد من التعذيب والمكر السيء ، ولكن « الرجل المؤمن » لم تخوفه المخاوف ، ولم تستبعده المصالح الأخرى ، وأنّى إلا أن يؤثر المخاهرة بالحق تبليغه على كل ما سواه . وبعد أن نقل القرآن خطاب « الرجل المؤمن » قال : ﴿فَوَقَاءَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَخَاقَ بِالْيَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ . إن هذه الآية دلالة واضحة على أن الذي كان قد صار درعاً واقياً للرجل المؤمن

« من سيئات ما مكرروا » هو « دعوة الحق ». فإن الرجل المؤمن لم يكن لديه شيء من ثروة أو رأسمال سوى معرفة الحق ودعوته ، بينما كان فرعون عدوه ، يملك كل أنواع القوى المادية ، ولكن « الرجل المؤمن » حيثما قام بدوره كداع إلى الحق ، تغمهه الله بعنائه وحمايته ، ولم يتمكن فرعون - رغم كل طاقاته - من تحقيق نواياه المشئومة ، وإنفاذ ما مكرر به من سيئات .

إن عصمة القائمين بعملية الدعوة إلى الله موعود **اللهي حق** - لا رب فيه - ولكن تحقيق هذا الموعود متوقف على القيام بعملية الدعوة الحقيقية ، دون أي عمل سواها ، ولو شاغلنا بأي عمل آخر ثم أضفينا عليه عنوان « الدعوة إلى الله » فليس لنا أن نتوقع أبداً أن وعد الله سيتحقق ليعصمنا مما نتعرض له من أحطار ومهالك في طريقنا .

شهادة التاريخ :

التاريخ الإسلامي غني بالأمثلة والشواهد مما يؤكد

هذا التصریح القرآنی بصوره مذهبة ، فمنذ القرن الأول إلى ما تلاه من القرون حدث غير مرّة أن أهل الإسلام تعرضوا لأنخطار وتهديدات أثارت لديهم مشكلة الحماية من غير المسلمين ، وإن الشيء الذي أدى بحل هذه المشكلة في كل مرة لم يكن سوى قوة « الدعوة إلى الله » .

والحماية عن طريق الدعوة تمثل في صور شتى ، فلو كان أهل الإسلام قد بلغوا رسالة الله بأقصى وأقوى ما يملكون من القدرة والوسائل ولكن المدعويين - بالرغم من ذلك - أبوا إلا التمسك بالعناد والمکابرة والتشدد في الجحود والإنكار ، فإن الأمر في مثل هذا الوضع يرتبط مباشرة بذات الله تعالى فيأتي عند ذلك نصر من قبل الله بصورة غير عادية ، وبالتالي يصبح أتباع الحق على أعدائهم ظاهرين .. وما حدث مع سيدنا هود وسيدنا لوط عليهمما السلام كان مثالاً لهذا النوع من النصر والحماية .

إن دین الله هو في الحقيقة صدى لفطرة الإنسان نفسه ، وإن قيامك بالدعوة إلى الحق يعني كأنك تطرق

باب القلب الإنساني ، وعلى هذا فلو كان الإنسان قد رُزق شيئاً من الجدية ، فإن قلبه لا يملك إلا أن يستجيب لنداء فطرته ، ويتساوق معه ، وهو وإن لم يقبله بصورة رسمية ، فإنه على كل حال ، يضمر كل الحب والنصح لأولئك الذين يكلمونه بما يتحقق به فؤاده بذاته ، وإنه يأخذ في الإحساس بأن هؤلاء خليقون بأن يُناصروا - على الحد الأدنى - على الصعيد الإنساني والأخلاقي . ومثال ذلك قصة يوسف الصديق عليه السلام مع الملك في مصر .

والصورة الثالثة للحماية عن طريق الدعوة والتي يمكن أن يقال بأنها الصورة النهائية تمثل في أن يتأثر المدعو بما يدعو إليه الداعي لدرجة تجعله مستعداً لأن يقبله ويومن به ، وقد تكرر حدوث هذه الصورة الأخيرة أيضاً على امتداد التاريخ الإسلامي .

وعندما تحدث هذه الصورة فإن المشاكل الطارئة هناك ، وبكل أبعادها وأنواعها ، تأخذ - على أعقاب ذلك - طريقها إلى الانتهاء والتلاشي تلقائياً ، وقد حدثت

مع رسول الله ﷺ هذه الصورة الأخيرة . فكان أكمل مثال من هذا النوع مما حدث معه عليه الصلاة والسلام .

اعتراف :

لقد اعترف توماس كرليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) بما في الدعوة الإسلامية من قوة تسخيرية حيث قال : « ... كثيراً ما دار على الألسنة وتردد ، أن محمدًا نشر دينه بالسيف ، السيف حقاً ، ولكن كيف لك أن تجد هذا السيف ! فإنه ما من فكر محدث إلا كان في أول أمره منحصرًا بالضرورة في أقليّة فرد واحد ، فهو ينشأ أول ما ينشأ في نفخ إنسان واحد فحسب ، ولا يوجد ثمة غير واحد في الدنيا يأكملها ، من يؤمن بذلك ، فرد واحد مقابل بني إنسان أجمع ، ثُرى - والحالة هذه - لكن قام ذلك الرجل متوضحاً السيف وأخذ يمارس الدعاية لفكرة ونشر عقيدته فهل تراه يحصل على شيء ؟ »

هذا ، وفيما يلي من صفحات نشير إلى بعض الشواهد من التاريخ الإسلامي تتضمن دلالة واقعية على

الاعتبار التسخيري للدعوة .

التخطيط الإنساني والتدبير الرباني :

مكث رسول الله ﷺ في مكة نحو ثلث عشرة سنة ، وفي أواخر أيامه بمكة دبر المشركون خطة للقضاء عليه وعلى ما جاء به بصورة نهائية ، وقد تشعبت في شأنه الآراء بين أشرافهم وذلك ما ذكره القرآن في الآية التالية : « وَإِذْ يُمْكِرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبَشِّرُوكُ أُو يَقْتُلُوكُ أُو يُخْرِجُوكُ وَيَمْكِرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاْكِرِينَ » [الأنفال : ٣٠] .

إن الخطة التي دبرها المشركون لإبعاد الرسول عن ساحتهم كانت تتحدد في : الإثبات (الأسر) ، أو القتل ، أو الإخراج ، ولكن الآية تخبرنا بأن الله تعالى أحبط تلك الخطة الجائرة بتدبير أفضل وإتقان أكثر ، فماذا كان ذلك المشروع الإلهي ؟ وهنا يفيدنا التاريخ أن الآونة المروعة تلك التي كان مشركون مكة يتداولون فيها التدابير للقضاء عليه ﷺ ، في الآونة نفسها بعث برجلين مسلمين من مكة

إلى المدينة ، فشرع عا هناك في نشر رسالة الإسلام مما أسفه عن دخول عدد كبير من أهالي المدينة في حظيرة الإسلام ، وقد أخذ عدد أولئك المعتنقين للإسلام يتزايد على مرور الأيام ، حتى أخذوا طابع الأغلبية الساحقة في المدينة . فلم يلبث رسول الله ﷺ بعد ذلك أن هاجر من مكة ووصل إلى المدينة بسرية تامة .. وذلك ما ينطوي عليه قول النبي ﷺ : « أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى ». إن الآية تدل دلالة واضحة على ما يوجد من الفارق النوعي بين التخطيط الإنساني والتدبير الرباني ، فهي تفيد أن التخطيط الإنساني إنما يسير على صعيد الأسر ، والقتل ، والإخراج . بينما التدبير الرباني يسير على صعيد تسخير القلوب عن طريق الدعوة والتبلیغ . إن تفكير الإنسان يختلط لإنهاء عدوه ، وتجميد نشاطاته ، أو إخراجه من مقره ، أو قتله وهكذا .. إلا أن الله يتوجه طريقاً مختلفاً عن هذا كل الاختلاف ، إنه يمكن لعباده في القرى بوصفهم مبلغين عنه وداعاً إلى دينه ، ثم إنه تعالى يشرح صدور الناس لرسالته فمن هذا الطريق لا يطول الأمد حتى تأخذ مجموعة حيوية

من الناس في الانضمام إلى دين الحق ، والانصهار في بوقته
ما يزيد دين الحق قوة وعزّة لدرجة تجعل أتباعه في حصانة
حصينة ، ومنعه منيحة ، عن كل مكر يدبره الأعداء
للاعتداء عليهم .

كلمة مسخرة :

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما حضرت وفاة
أبي طالب عم رسول الله عليه السلام مشى من أشراف قريش
إليه ، وقالوا : « .. قد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك
فادعه وخذ لنا منه ، وخذ له مما ليكف عننا ، ولنکف
عنه .. » فبعث أبو طالب إلى رسول الله فجاءه . فقال له :
يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قريش ، قد اجتمعوا إليك فقل
 لهم ماذا تريد منهم ؟ فقال رسول الله عليه السلام : « نعم كلمة
 واحدة ، تعطونها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها
 العجم » . فقالوا : وما تلك الكلمة ؟ فقال : « تقولون
 لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » (السيرة
 النبوية لأبن كثير) .

إن النبي ﷺ عندما قام بدعوة الحق في مكة ، كان
أقلية ، بل كان وحيداً في العالم ، ولكن سرعان ما اجتذبت
كلمته ، أو بلفظ آخر ، قوة فكره أصحاب العقول الوعية
والقلوب السليمة من العرب ، ورغم أنه قد واجه
معاكسات عنيفة في بدء أمره ، ولكن مما لا يمكن إنكاره
كذلك أن رسالته - مع جميع العراقيل والعقبات التي
وضعت في طريقها - كانت تجمع معها نوعاً من الجاذبية
التي تستميل أولي الفكر والألمعية والجدية من الناس .

٢٢ وما حدث في أوائل العهد المكي - وهو مما لا علاقة
له مباشرة بما نحن يصدده - أن الطفيلي بن عمرو الدوسي
قدم مكة حاجاً ، وقد كان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه ،
فاجتمع به رجال من أشراف قريش ، وحدروه من
رسول الله ، ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه واصفين
له الرسول بأنه ساحر ، فلما غدا الطفيلي بن عمرو إلى
بيت الله ، وعلم أن رسول الله قائم يصلّي عند الكعبة حشا
أذنيه قطناً ، خوفاً من أن يبلغه شيء من قوله ، وهو لا

يريد أن يسمعه . ولكنه بعد إذ راجع موقفه من هذا الأمر ، قال في نفسه : إني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما الذي يحوجني إلى أن أسد أذني بالقطن ؟ لا ، بل إني لأسمع من محمد ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . قال : فلقيت رسول الله ﷺ ، وقصصت عليه ما جرى بيدي وبين قومه قال : ثم قلت : اعرض عليّ أمرك ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليه شيئاً من القرآن ، قال : فلا والله ، ما سمعت قولًا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . وعنده ذلك أسلم العفيفي بن عمرو وشهد شهادة الحق .

الهجرة إلى الحبشة :

كانت مكة يسودها الشرك من أقصاها إلى أقصاها ، إذ بدأ فيها رسول الله ﷺ بدعوة الناس إلى التوحيد فصار الناس يعارضونه ، ويذيقون من اتبعه أنواعاً من العذاب ، ويغتربونهم عن دينهم بكل ما استطاعوا من حول وحيلة ،

فلما رأى الرسول ما يُصنع بأصحابه - وهو غير قادر على حمايتهم مما يُسامون من سوء العذاب - أشار عليهم بذلك في السنة الخامسة منبعثة أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، فوُقعت الهجرة إلى الحبشة بعد ذلك مرتين ، ويبلغ عدد من هاجر من أصحابه عليه الصلاة والسلام من حيث المجموع نحو مئة وعشرين نفراً .

وحيث بلغ المشركون أن أصحاب محمد قد هاجروا إلى الحبشة ، وأصابوا هناك أماناً وعافية . تذمروا فاجتمعوا يتشاورون في أمرهم فاختاروا رجلين منهم وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة ليذهبا إلى النجاشي ملك الحبشة ، ويطلبوا منه ردهم إلى بلادهم . فأتيا وقدما إليه وإلى بطارقته هدايا كثيرة ، وقالا له : إنما قدمنا في أمر غلامان منا سُفها ، انضموا إلى بلادك راغبين عن ملة آبائنا ، فارفعهم إلينا نرجع بهم إلى بلادنا .

وهذه قصة طويلة ، وملخصها ، أن بطارقة النجاشي أنفسهم قاموا يشيرون عليه بأن يسلم المسلمين إليهم ،

ويردهم إلى مكة مخدوعين بما حشيا آذانهم من الأقاويل .
وكانَت المراحلَة حرجة وغاية في الخطورة ، فإن العودة آنذاك
كانت تعني الوقع في مخالب الأسد ثانيةً ، ولكن الذي
يرجع إليه فضل إنقاذ المسلمين من سلبيات هذه المراحلَة
المخطيرة هو « الدُّعْوَة » تلك التي قد حملها أولئك الفقراء
معهم ، من موطنهم إلى مهجرهم .

وفي نهاية المطاف ، استقر الرأي على أن يحضر
المسلمون في مجلس النجاشي ، ويخبروه ما هو الدين الذي
أناهُم به النبي العربي فقام عند ذلك جعفر بن أبي طالب ،
وألقى خطبة في المجلس الملكي ، وقد ذكرت هذه الخطبة
في كتب السيرة كلها ، ثم تلا جعفر عليهم صدراً من سورة
مريم ، وروايات هذا الخبر تقول : إنه لما سمع الملك
وبطارقته ما سمعوا اغروقت عيونهم بالدموع ، وانسابت
دموع الملك حتى أخذلت لحيته ، وبعد ذلك أمر النجاشي
أن يردد على الرسلتين ما جاء به من المدايا ، ورد على
المسلمين ردّاً كريماً ، وأمنهم وخرج عبد الله بن أبي ربيعة

و عمرو بن العاص من عنده مقبو حين ، وأقام المسلمون بخير دار مع خير جار .

إسلام عمر بن الخطاب :

و حتى السنة السادسة منبعثة النبوة كان قد دخل في الإسلام عدد ملحوظ من أهالي مكة ، ولكن بما أن معظم هؤلاء المسلمين كانوا من الطبقة المستضعفة ، لذلك لم يكن الإسلام قد بلغ من العزة والشوكه درجة تمنعه صلاحية الإرهاب وفرض الهيبة على الآخرين ، وتأمين من يعتقه ، ومكث الحال على ذلك إلى أن تم افتتاح هذا الباب هو الآخر ، للمرة الأولى ، وإنما الفضل في ذلك راجع - أيضاً - إلى « الدعوة ». فقد كان من دعاء رسول الله عليه السلام بمكة : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمررين » وبعد ذلك كان رحى الأيام تدور ، وصروف الدهر تتقلب إلى أن كان اليوم الذي أُعلن فيه أبو جهل وهو سيد مكة إذ ذاك لمن قتل محمداً مائة ناقة ، وكان عمر ابن الخطاب من أقوىاء أو أقل عمالقة مكة ، شديد البطش والشكيمة ، لا

يرام ما وراء ظهره . فخرج بعد أن سمع هذا الإعلان متوجهاً سيفه ، يريد رسول الله ﷺ ليقتله ، ويحصل على المائة ناقة .

وبينا هو في بعض الطريق يمشي ، إذ بلغه أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قد ارتدَا عن دين آبائهما ، ودخلَا في الإسلام فاستشاط عمرُ غضباً ، ورجع عاماً إلى بيت أخته ، وبطش بخته سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته ، لتكفه عن زوجها فضرّها ، فشجّها . فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وخته : نعم ، نحن قد أسلمنا ، وأمنا بالله وبرسوله فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، وارعوی ، وتوجه إليها قائلاً : أخبريني بشيء عن هذا الدين الذي اخترتما فأعطيته صحيفة وفيها سورة « طه » من القرآن ، فلما قرأ منها صدراً قال : « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه » .

وعلى الجملة ، فإن عمر بن الخطاب قد عمد بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ ، حتى لقيه ، وأمن به ، وبايعه

على الإسلام ، وبما أن عمر رضي الله عنه ، كان رجلاً شديد الشكيمة ، لم يكن يرافق ما وراء ظهره ، وقامته بلغت من طولها درجة جعلت رأسه يصطدم بالباب عندما دخل المسجد النبوي بعد تمام بنائه في المدينة . فلا جرم أن دخول شخص كهذا في الإسلام كان نصراً عظيماً للإسلام ولأهلها . ولم يحصل هذا النصر العظيم للإسلام إلا عن طريق الدعوة ، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن إسلام عمر كان فتحاً ، ولقد كنا ما نقدر على أن نصلِّي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلينا معه » .

إِسْلَامُ قَبَائِلَ يَثْرَبُ :

إن الإسلام دينبني على الفطرة ، وما من أمرٍ إلا وهذا الدين يقرع باب قلبه ، وفطرته تتجاوب معه ، فإن لم تكن ثمة من عقبة نفسية تحول بين المرء وفطرته ، فهو لا يتألم أن يتَّخذ إزاءه أي موقف سوى الخضوع لتصديقه والإيمان بحقيقةه ، ولقد كان أنصار المدينة (قبيلتي

الأوس والخزرج) خير نموذج تارىخي لهذا الموقف .

يروى أن سويد بن الصامت قدم مكة حاجاً أو
معتمراً ، وكان قومه ليسمونه « الكامل » بجلاده ونسبه ،
وكان رسول الله ﷺ قد بعث وأمر بالدعوة ، فتصدى
له حين سمع به ودعاه إلى الإسلام ، فقال له سويد : فعلل
الذي معك مثل الذي معى . فقال له رسول الله ﷺ :
اعرضها عليّ ، فعرضها ، فقال : إن هذا حسن ، ومعي
أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله عز وجل نوراً وهدى . فتلا
عليه القرآن ، فلم يبعد منه ، وقال : « إن هذا القول
أحسن » .

ثم قدم أبو الحسير أنس بن رافع مكة ، ومعه رهط
من الأوس ، وفي ذلك الوقت كانت نيران الحرب متقدة
بين الأوس والخزرج ، وكانوا قد جاؤوا ليتقسوا الحماية
من قريش على الخزرج ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ
أتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : « هل لكم إلى خير مما جئتم
له ؟ قالوا : « وما ذاك » فذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم

القرآن ، فقال غلام حدث من الوفد يقال له إياس بن معاذ : « أَيُّ قومٍ هَذَا وَاللَّهُ خَيْرٌ مَا جَتَّمْ لَهُ » . غير أنهم لم يعتنقوا الإسلام عند ذلك الوقت ، وانصرفوا إلى المدينة . وبعد ذلك خرج رسول الله ﷺ في الموسم يلقى فيه الوافدين من شتى قبائل العرب لزيارة الكعبة ، ويدعوهم إلى الإسلام ، كما كانت عادته في كل موسم ، فلقي أثناء ذلك عند العقبة رهطاً من المخزرج ، وهم ستة رء . منهم أسعد بن زراره وأخرون غيره . وبعد فاتحة الحدب . ذكر لهم رسول الله ﷺ الإسلام ، وتلا عليهم شيئاً من القرآن ، وقد كان في نفوس هؤلاء شيء مما كانوا يسمعونه وهم في المدينة ، من يهودها ، عن بعثة النبي ﷺ وقت ظهوره ، فلما سمعوا كلامه عليه السلام ، لم يلبثوا أن عرفوا أنه ذلك النبي . فقال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم إليه ، فأجابوه وصدقواه ، وأسلموا .

النشار الإسلام في المدينة :

ثم انصرف هؤلاء عن رسول الله ﷺ بعد اعتقادهم الإسلام ، راجعين إلى بلادهم ، فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ ، وأخذوا في تعريفهم بالإسلام ، حتى فشا بينهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر الإسلام ورسوله ، حتى إذا كان العام الم قبل ، أتى الموسم من أهل المدينة اثنا عشر رجلاً ، وكانت قد تأثرت بالإسلام من قبل ، فلقوه رسول الله ﷺ وبايده على الإسلام بيعة تسمى بيعة النساء ذلك أنه كان مما بايده عليه في هذه البيعة - مع قبول الإسلام - أن يمنعوه عليه السلام مما يمنعون منه نسائهم ، وأبناءهم ، وهي المعروفة في التاريخ الإسلامي بيعة « العقبة الأولى » .

فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، فكان يسمى في المدينة « المقرئ » . وفي ذلك الوقت كان من أبرز رؤساء المدينة أسد بن حضير ، فلما

بلغه انتشار الإسلام في المدينة ، ثار غضبه ، ذلك بما خُلِّي
إليه أن الذين قدموا من مكة ، إنما جاؤوا هنا لشفيفه
ضعفائهم وصرفهم عن دين آبائهم ، فأخذ أسد بن حضير
حربته ، وانطلق يبحث عن أمثال هؤلاء الناس ليزجرهم
وينهيهم عن المدينة .

وبينا هو كذلك إذ رأى مصعب بن عمر في
حائط ، وهو جالس بين أناس يعلمهم الإسلام فوقف عليه
مُشتماً ، وقال : إنما جاء بكم إلينا أن تصرفوا ضعفاءنا
عن دينهم ، فقال له مصعب : أوْتَجِلس فتسمع فإن رضيت
أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفْ عنك ما تكره . فقال :
أنصقت ثم رکر حربته وجلس إليه ، فكلمه مصعب
بالإسلام ، وقرأ عليه آيات من القرآن ، بعد أن سمع ما
سمع ، لم يلبث أن تغير رأيه ، وقال : ما أحسن وأجمله ..
ثم قام ، واغتسل ، وظهرت توبه ، وشهد شهادة الحق ،
ودخل الإسلام .

وقد حدث مثل ذلك مع سعد بن معاذ ، ثاني

الرئيسين الكبيرين في المدينة إذ ذاك فهو - أيضاً - كأسيد بن حضير أغضبه انتشار الإسلام في المدينة إذ سمع عنه لأول مرة ، فأخذ حربته ، وانطلق إلى أولئك النفر ليزجرهم ، ولما انتهى إلى مصعب بن عمير ، قال له مصعب ، مثل الذي قال لأسيد ، ثم عرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ، قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام ، ثم قال لهم سائلاً : كيف تصنعون إذا أنتم دخلتم في هذا الدين ؟ فقال مصعب بن عمير : تغسل وتتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، فقام ، وفعل مثل ما قال . ودخل في الإسلام .

ثم أقبل عامداً إلى نادي قومه ، ومعه أسيد بن حضير ، فقال لهم : يا بني عبد الأشهل : كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً .. قال : فإن كلام رجالكم ونسائهم على حرام ، حتى تومنوا بالله ورسوله .. « فما أ Rossi في دار بني عبد الأشهل .. رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

إن قبائل المدينة كانت على بساطة الفطرة ، وكانت طبائعهم على أكمل درجة من السلامة والبعد عن التكلف . ولم يكونوا يعلمون الإعراض عن الحق بعد إذ جاءهم وعرفوه ، الأمر الذي ساعد على تصعيد سرعة انتشار الإسلام في المدينة ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ، ونساء مسلمات .

ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة ، وخرج معه سبعون رجلاً وأمرأة ، فلما فرغوا من الحج خرجوا - حسب موعد مسبق - للقاء رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أثناء الليل ، فبايعوه ، وهذه البيعة تسمى بيعة العقبة الثانية . ومن جملة التفاصيل التي وردت ضمن هذه القصة في كتب السير أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال العباس بن عبادة بن نبلة الأنصاري : « يا عشر الخزرج هل تدركون على ما تبايعون هذا الرجل .. إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ... » قالوا : فما لنا يا رسول الله إن نحن وافقنا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده ،

فبایعوه . (التفسیر المظہری ، المجلد الثانی . ص ۱۱۲ - ۱۰۷ باختصار و تصرف) .

الهجرة إلى المدينة :

كان العربي في قديم الزمان يقضي حياته في منعة من قبيلته ، وإن القبيلة كانت تتکفل بحمایته من اعتداءات الآخرين . والرسول ﷺ كان يتبعى إلى قبيلة بنى هاشم ، التي كانت في ذلك الحین تحت رئاسة أبي طالب بن عبد المطلب ، ولما كانت السنة العاشرة من البعثة ، مات أبو طالب ، فعهد بمنصب الرئاسة بعد ذلك - طبقاً لعرف القبيلة - إلى أبي هب ، ولكن أبي هب بعد أن توّلّ الرئاسة امتنع عن أن يقوم دونه عليه السلام ، وتخلى عن حمايته .

وقد كان ذلك أمراً شدید الخطورة ، فإن حرمـانـ أي شخص من حماية قبيلته في تلك الأزمنـةـ كان يعني إباحـةـ دمه وكـلـ ما يملـكـهـ وليس على من يعتـدىـ عليهـ من سـبيلـ أو خـوفـ . وقد حدـثـ فعلاًـ أنـ معارضـيهـ عليهـ السلامـ لمـ يلبـشـواـ بعدـ ذـلـكـ أـنـ اجـتـرـأـواـ عـلـىـ إـيـذـائـهـ ،ـ والـاعـتـداءـ عـلـيـهـ كـمـ

جاء في كتب السيرة أن قريشاً نالت من أذى الرسول ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً .

والآن كما هو ظاهر ، لم يعد بإمكان الرسول أن يقيم بمكة ، ولكن الوقت نفسه تخوض له عن إمكان جديد عظيم الشأن ، عن طريق الدعوة وهو أنه لما كانت السنة الحادية عشرة منبعثة قدم مكة جماعة من أهل المدينة لزيارة الكعبة ، ومن خلال تلك الفترة تأثروا بدعوته عليه السلام ، فاعتنقوا الإسلام ، وفي العام المُقبل وافق الموسم آخرُون في عدد أكبر من ذي قبل من سكان المدينة ، وبعد أن استمعوا إلى ما قرأ عليهم الرسول من القرآن أسلموا ، ولما تجهزوا للانصراف بعث معهم رجلين من مسلمي مكة (عبد الله بن أم مكتوم ، ومصعب بن عمير) لتعليمهم القرآن والإسلام ، فلما انتهيا إلى المدينة ، تناولا الناس هناك بتلاوة القرآن عليهم ، وتبيين تعاليم الإسلام لهم وقد كانت أرض المدينة منبتاً حسناً لبذرة الدعوة الإسلامية فجعل

الإسلام يفشو في منازل الأنصار حتى لم تبق دار من دور
الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

ولما رأى رسول الله ﷺ أن المدينة قد توفرت فيها
ظروف مواتية للإسلام أمر المسلمين بالخروج إليها ،
وطفقوا يهاجرون ، حتى انتقلت غالبيتهم من مكة إلى
المدينة ، ومن جانب آخر رأى مشركون مكة في هذه
الظاهرة ضرباً من التهديد لهم ، إنهم ظنوا أن المسلمين إنما
هاجروا للمدينة لكي يجعلوها مركزاً لعملياتهم العدوانية
ضدهم فقرروا ضرورة القضاء على رسول الإسلام قبل أن
يأتيمهم مسلمو المدينة بما يكرهون ، ولكن - الآن - لم
يكن قد بقي لهم من الأمر من شيء ، فإن الليلة التي أرادوا
فيها تنفيذ ما أرادوا من اغتياله عليه السلام - وفي الليلة
ذاتها - فارق عليه السلام مكة ووصل إلى المدينة .

وعقب ذلك دخول الإسلام في مرحلة تكوين تاريخي
جديد في المدينة ، وإن الذي قد شق الطريق نحو تكوين
هذا التاريخ الجديد ، إنما هو « الدعوة » من غير شك .

مدى انتشار الدعوة الإسلامية بعد صلح الحديبية :

أقام رسول الله ﷺ بمكة نحو ثلاثة عشرة سنة ، ولم يزل بها حتى أرغمه ما نصب له أهل مكة من عداوات ومضائقات عنيفة على مفارقة مكة والهجرة إلى المدينة ، ولكن ذلك لم يخفف من حدة غضب المشركين في مكة شيئاً ، بل زادهم غيظاً وحقداً وخيلاً لهم لو تركوا المسلمين وشأنهم غير مكترثين لأمرهم فلا يبعد أن يزدادوا قوة وجرأة عليهم ، وليشنوا الهجوم على مكة إذا وجدوا الفرصة لذلك في يوم من الأيام فما لبثوا أن بادروا بأنفسهم على إيقاد نار الحروب والمعارك ضد أهل الإسلام فاحتدمت على إثر ذلك بعض معارك كبيرة مثل : بدر وأحد . وأخرى كثيرة مما يمكن تشبيتها بالاشتباكات أو المناوشات . ومن حيث المجموع يصل عدد هذه الواقع - على وجه التقرير - ثمانين موقعة .

لقد كانت الحروب تتشعب تلو الحروب ، ولكن الوضع المتواتر بين الطائفتين ، أهل الشرك وأهل التوحيد لم

يزل قائماً كا هو ، إلى أن قام رسول الله ﷺ بوضع خطة دعوية دقيقة وفق التعليم الذي ألمحه الله تعالى ، وتلك هي الخطة التي تعرف بصلاح الحديبية في التاريخ الإسلامي ، وقد ورد ذكرها في كتب الحديث كلها مفصلاً .

وخلاصة القول ، أن وقائع وأحداثاً مختلفة انكشفت أخيراً عن المرحلة التي كانت مبدأ انعقاد مفاوضات الصلح بين الرسول ﷺ والشركين في موضع الحديبية . وقد اقترح عليه الصلاة والسلام ، أن يتعاقد الطرفان على اتفاقية سلمية (NO-WAR Pact) لمدة سنوات عشر ، أما مشركو مكة فلما دعوا إلى التفاوض حول هذا الاقتراح ، لم يرضوا به طواعية بل اشترطوا لتوقيع هذه الاتفاقية السلمية شرطاً اتسمت بالانحياز الكلي إلى طرف واحد ، فمن ذلك مثلاً أنهم قالوا : إن الرسول وأصحابه يرجعون عامهم من الحديبية إلى المدينة من دون أن يدخلوا ، ويطوفوا بالبيت ، وأن من أتى المسلمين من قريش ردوه عليهم وفي المقابل فإنّ من قدم قريشاً من المسلمين لم يردوه عليهم ، وقد وصلت بالشركين النخوة والحمية درجة لم

يرضوا معها أن يكتب في وثيقة الصالح « محمد رسول الله » وأبوا إلا أن يكتب محمد بن عبد الله ، وما إلى ذلك من شروط وأحاديث مشحونة بالإهانة والإثارة ، ولكن رسول الله عليه السلام قابل الخيازهم الكلي بعدم الانحياز متذرعاً بالصبر والإعراض عن مواجهة حميتهم الجاهلية . فانصرف راجعاً من الحديبية بعد أن تعاقد مع المشركين على الاتفاقية السلمية للسنوات العشر إذاعاناً لشروطهم ولم يكن الغرض من ذلك الإذعان الأحادي (وغير المنحاز) لشروط المشركين المنحازة - في هذه الاتفاقية - سوى أن يتمهد طريق الدعوة ويأمن ، وهكذا كان ، فقد « أمن الناسُ بعد ذلك ، واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر ، وانتشر العلم النافع والإيمان » (ابن كثير) .

والمسيرة الدعوية التي بدأت بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، أسفرت عن رفع وزيادة نسبة المنضمين من أفراد القبائل إلى الإسلام ، فبينما كان عدد المسلمين ذوي الكفاءة الحربية لا يتجاوز عند صلح الحديبية ألفاً ونصف ألف

مسلم ، فقد بلغت عدتهم في مدة أقل من سنتين اثنين ،
إلى عشرة آلاف ، وعندما سار رسول الله ﷺ بجنوده إلى
مكة ، لم يكدر أبو سفيان يراهم حتى نادى بأعلى صوته :
يا عشر قريش . هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ،
فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

الدعوةُ قَوْةٌ لَا تُقْهِرُ وَلَا تُفْنِي :

أقام عليه السلام بالمدينة إلى ذي القعدة من سنة 6
هجرية ، ومنها خرج يريد مكة معتمراً ، وكان معه أصحابه
البالغ عددهم أربعمائة وألف . ولم يزل يسير بهم حتى نزل
الحدبية التي بينها وبين مكة تسعة أميال بعد خطب طويل ،
وكان قريش قد سمعت بمسيره إلى مكة ، فبعثت برجاتها
إليه ليصدوه عنها فدارت بينه وبين رسول قريش مفاوضات
استغرقت أسبوعين ، ولكنهم لم يرضوا ولم يسمحوا له بأن
يدخل مكة ويزور البيت ويُقْمَ العمرة حتى كان عليه السلام
هو المنصرف نزولاً على ما اشترطت قريش من شروط
اتفاقية الحدنة ، التي تسمى بصلح الحديبية في التاريخ .

وعلى إثر العودة من هذا السفر ، قام عليه السلام بتوجيه الكتب الدعوية إلى الملوك والرؤساء حول بلاد العرب ، وقد كان ذلك في السنة السابعة من الهجرة ، وفيما يلي أسماء الذين وجهت إليهم تلکم الكتب :

هرقل	عظيم الروم	صاحب البحرين	المنذر بن ساوي
خسرو أبوريز	عظيم فارس	شاه عمان	جيفر وعبد بيلدرى
التجانى	ملك الحبشة	صاحب الجمامه	هروذة بن علي
المقوص	ملك مصر والاسكندرية	صاحب دمشق	احماد بن أبي شتر الفسالي

ومع أن بعض الأمراء تلقوا رسالته الدعوية بالكرياء والشموخ ، واستحقوا الغضب الإلهي على ما صنعوا بها ، ولكنها أيضاً كانت سبباً في دخول مهابة الإسلام في نفوسهم وتأثير دعوته في قلوب أكثرهم ، وإجابة العديد منهم ، فقد قال قيسار ملك الروم لبطارقته بعد أن ثرجم له مضمون كتاب النبي ﷺ : « فهلموا فلتتبع ، ولتصدقه فتسلم لنا دنيانا وأخرتنا » كما كتب صاحب الجمامه في جوابه مبدياً إعجابه بدعوته عليه السلام يقول : « ما أحسن ما

تدعوا إليه وأجمله » . إن الفترة التي لم يكن الإسلام فيها في موقف يمكنه من التقدم والمبادرة مادياً ، كان في موقف يمكنه - من الناحية الفكرية - من مخاطبة ملوك العصر بجرأة واقتدار ، ولم يكن ذلك إلا معجزة من معجزات الدعوة ، ربما يمكن لعدو من أعداء الإسلام أن يضع عقبات في طريق مبادرة الإسلام المادية ، ولكن لا يمكن لأحد البتة أن يحول بين الإسلام وبين مبادرته الفكرية .

المَدُّ الْإِسْلَامِيُّ خَارِجُ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ :

لم يلحق رسول الله ﷺ بربه إلا وقد كان الإسلام سائداً في الجزيرة العربية ، ولكن الأمم التي كانت تقطن البلاد المجاورة للجزيرة لم تكن تدين بدين الإسلام ، كما كانت لغتها وحضارتها تختلف تماماً عن حضارة الإسلام ولغته ، ولم يكن ذلك القطاع الجغرافي المترامي الأطراف الذي نسميه اليوم بـ « العالم العربي » قد ظهر إلى الوجود حتى ذلك الوقت . وقد كان هذا الوضع يشكل خطراً مستقلاً بالنسبة لوجود الإسلام وبقائه ، والحقيقة هي أن

الإسلام لو ظلّ منحصراً في شبه الجزيرة العربية لم يكن بإمكانه أن يبقى على قيد الحياة في الأزمة المتواصلة ، ولكن يبقى الإسلام حقاً حياة دائمة ومستقلة ، لم يكن بدأ من إظهار الدين الإسلامي ، وإعطاء لغته وحضارته الاعتبار الغالب على قطاعات متراوحة من المعمورة ، ولم يكدر بنقضي نصف قرب بعد وفاة الرسول ﷺ حتى تم تحقيق هذا الواقع هو الآخر . ولكن الحقيقة التي لا بدّ من ملاحظتها في هذا المخصوص هي أن العامل الأساسي الذي كان يكمن وراء إحداث هذا الحادث العظيم هو « قوة الإسلام الدعوية » دون قوته السياسية . والحقيقة أن القوة السياسية غير قادرة تماماً على إحداث واقع من هذا النوع ، ولو كان بإمكان القوة السياسية أن تحول الناس إلى دين غير الذي يدينون به ، فإن الهند ، وباكستان ، وبنغلاديش لكان دولاً لا تدين بالديانة المسيحية .

وعلى إثر وفاة الرسول ﷺ أخذت المخوب تتشبث بين المسلمين وبين الأمم القاطنة خارج بلاد العرب ، وفي

فترة وجيزة جداً استطاع الغزاة المسلمون أن يفتحوا مجموعة كبيرة من المناطق ما بين آسيا وأفريقيا . إلا أنه من الحقائق الصارخة ، المعلومة لدى كل من له إلمام بالتاريخ ، أن هناك في تلك البلاد المفتوحة لم تتخذ - في يوم من الأيام - إجراءات إجبارية للتحويل الديني . لتأخذ مصر مثلاً ، التي فتحها المسلمون في عهد الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه ، فقد كتب أحد باحثي الموسوعة البريطانية ، وهو يتوخي تسلیط الضوء على تاريخ مصر ، يقول :

« إن المسلمين سرعان ما استولوا على أرض مصر بالفتح في سنة ٦٤٢ من الميلاد ، ولكنهم قد التزموا بشدة مبدأ التسامح الديني (Religious tolerance) إنه لم تكن ثمة من محاولة اعتداء أو إكراه ، بل ولم تكن " كذلك حتى ممارسة إقناع على الصعيد الحكومي ، لحتى المصريين على اعتناق الإسلام ، إن الحكام العرب قد أخذوا على أنفسهم العهد بالحفاظ على الكنائس المسيحية » .

“ There was no attempt to force, or even to persuade, the Egyptians to convert to Islam. The Arabs even pledged to preserve the Christian Churches ” (6/487-88).

كذلك اعترف البروفيسور : ت . دبليو آرنولد ، في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) بتمسّك فاتحى مصر المسلمين بأكمل ما يكون من التسامح : فكتب يقول : « وليس هناك مما يدل على أن انضمام المسيحيين في مصر إلى الإسلام على ذلك النطاق الموسع ، كان ناشئاً عن أي اضطهاد أو ضغط غير عادل من جانب الحكم الجدد (أي المسلمين) »

“ There is no evidence of their widespread apostasy to Islam being due to persecution or unjust pressure on the part of their new rulers ”.

كما كتب البروفيسور آرنولد في موضع آخر ، يقول :

« إن دخول المصريين في الإسلام ، لم يكن قط ،

نتيجة لأي نوع من الاضطهاد السياسي أو العسكري »

“ These conversions were not due to persecutions ” (110).

وهنا يعرض سؤال : كيف أمكن دخول أغلبية المصريين الساحقة في الإسلام مع أنه لم يكن هناك شيء من القهر والاضطهاد لحملهم قسراً على التحول الديني ؟ ولقد رد على هذا السؤال ، السيد آرثر كيت ، أحد خبراء الآثار المصرية ، قائلاً ، « لم يكن الذي أخضع المصريين هو السيف ، بل إنما كان الذي أخضعهم هو (القرآن) » .

“ The Egyptians were conquerd not by the sword, but by the koran ” Si Arthur Keith, Anew Theory of Human Evolution, London Watts & Co. 1950, P. 303.

ووهكذا تجد في كل البلاد المفتوحة ، بدون استثناء ، أن أي نوع من الإجبار أو الاضطهاد لم يمارس قط ، لتطويع سكانها من غير المسلمين ، حتى يندمجوا في الدين

الإسلامي . وإنما قوة الدعوة الإسلامية هي وحدتها التي عملت على تسخيرهم ، وفي أهدى غير بعيد جذبهم إلى حظيرة الإسلام . إنهم كانوا يسمعون عن الإسلام أثناء احتكاكاتهم ، ومقابلاتهم اليومية مع المسلمين الذين دخلوا بلادهم كما أنهم تناولوا الكتب الإسلامية بالدرس والمطالعة مما جعلهم يكتشفون أن الإسلام أكثر من عقيدة وأقرب إلى العقل بالنسبة لما ورثوا عن آبائهم من الطقوس الدينية ، وأن تعاليم الإسلام على درجة أكبر من البساطة والقابلية للتطبيق العملي ، فاستجابة لهذا التأثير والانطباع ، انشاؤا يعتقدون الإسلام ، ولم ينزل عددهم يتزايد حتى ضم الإسلام أغلبيتهم ، وبالتالي تشكل في الخريطة الجغرافية ذلك العالم الذي يطلق عليه « العالم الإسلامي » .

إسلام الأتراك السلاجقة :

كان سلجوق أحد رؤساء أتراك الغز ، قد قام بتجهيز جيش من القبائل ، وشنّ الهجوم على غرب آسيا ، في القرن الحادي عشر المسيحي ، وعلى يديه تأسست مملكة

قوية ، وطيدة الأركان ، امتد نفوذها إلى بلاد الأردن ، والشام ، والعراق وفلسطين ، وما إليها من البلدان التي كانت من قبل تحت سيطرة المسلمين ، فأرسى هناك السلجقة الأتراك قواعد مملكتهم بعد أن أخضعوا جنود المسلمين لسلطانهم ، وكان من خلفوا من بعد سلجوقي ، طغول بك (المتوفى ١٠٦٣) وألب أرسلان (المتوفى ١٠٧٣) .

وفي هذا الحادث عظيم الشأن من حوادث التاريخ الإسلامي ، فإن أولئك الأتراك السلجقة الذين كانوا في البداية قبائل اتسمت بالهمجية والبربرية ، لم يلبثوا أن اعتنقوا الإسلام ، وأصبحوا حماة للإسلام ، وذائدين عن حياضه إلى مدة تتجاوز قرنين . ولقد تمكنوا من توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم في العالم الإسلامي بأسره ، بعد أن قصوا على ما كان بين الشيعة وأهل السنة والجماعة من خلافات ومشادات . كما قاموا بتعمير مساجد كبيرة شامخة ، وبناء مدارس فخمة عامرة ، كما لعبوا دوراً هاماً

في حـدـ الغـزوـاتـ المـسيـحـيـةـ ضـدـ الإـسـلـامـ .

وهـنـاكـ فيـ مـوـلـفـاتـاـ التـارـيخـيـةـ ،ـ تـجـدـ رـصـيدـاـ صـحـحاـ منـ الـبـطـولـاتـ وـالـمـآـثـرـ منـ هـذـاـ النـوـعـ ،ـ تـعـزـىـ إـلـىـ السـلاـجـقـةـ ،ـ وـلـكـنـ هـذـهـ الـمـؤـلـفـاتـ لـاـ تـرـدـ عـلـيـكـ بـشـيـءـ إـذـاـ مـاـ تـسـأـلـتـ :ـ كـيـفـ ،ـ وـفـيـ أـيـ وـضـعـ قـدـرـ لـلـسـلاـجـقـةـ اـعـتـنـاقـ إـسـلـامـ؟ـ وـمـاـ الـذـيـ يـكـمـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ؟ـ ..

إـنـ هـذـاـ الفـرـاغـ جـدـ هـائـلـ ،ـ فـالـتـارـيخـ إـسـلـامـيـ المـدوـنـ بـيـنـاـ يـرـخـ بـحـكـيـاـتـ وـأـقـاصـيـصـ غـاـيـةـ فـيـ التـفـصـيلـ فـيـمـاـ يـتـعـلـقـ بـالـلـوـقـائـعـ الـحـرـبـيـةـ وـالـفـتوـحـاتـ الـبـيـاسـيـةـ لـاـ يـسـمـنـ وـلـاـ يـغـنـيـ شـيـئـاـ فـيـمـاـ يـتـعـلـقـ بـتـفـاصـيلـ ذـلـكـ «ـفـتـحـ الـأـعـظـمـ»ـ الـمـتـمـثـلـ فـيـ تـمـكـنـ إـسـلـامـ فـيـ قـلـوبـ النـاسـ ،ـ وـاسـتـمـرـارـيـةـ دـخـولـ الـأـقـوـامـ وـالـشـعـوبـ فـيـ حـظـيرـةـ إـسـلـامـ أـفـواـجاـ .ـ إـنـ كـتـبـ التـارـيخـ إـسـلـامـيـ الـمـتـداـولـةـ ،ـ تـفـيدـنـاـ كـثـيرـاـ عـنـ «ـدـوـلـةـ السـلاـجـقـةـ»ـ وـلـكـنـهاـ لـاـ تـخـبـرـنـاـ بـشـيـءـ عـنـ «ـإـسـلـامـ السـلاـجـقـةـ»ـ .

وـرـبـماـ لـاـ تـجـدـ فـيـ تـرـاثـ الـأـدـبـ إـسـلـامـيـ بـأـكـملـهـ ،ـ كـتابـاـ جـدـيـراـ بـالـذـكـرـ يـتـناـولـ مـوـضـعـ «ـتـارـيخـ الدـعـوـةـ»ـ غـيـرـ

كتاب واحد ، وكاتب الكتاب يسمى : ت ، دبليو آرنولد . وقد كتب البروفيسور آرنولد - حين تناول الحادث المذكور - يقول :

“ In the hours of its political degradation, Islam has achieved some of its most brilliant spiritual conquests: on two great historical occasions, infidel barbarians have set thier feet on the necks of the followers of the prophert,— the saljuq Turks in the eleventh and the Mongols in the thirteenth century,— and in each case the conquerors have accepted the religion of the conquered ” (p.2)-

« لقد قبض للإسلام أن يحرز بعض فتوحاته الروحية البالغة في الروعة والمشيرة للإعجاب ، على حين كان قد ألم به الانحلال السياسي ، فقد حدث في مناسبتين تاريخيتين كبيرتين أن الكفار المتبررين وضعوا أقدامهم على عنق أتباع الرسول محمد ، الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر المسيحي ، والمغول في القرن الثالث عشر المسيحي ،

ولكن كلتا الحالتين أسفراها عن دخول الفاتحين في دين المفتوحين » .

إسلام التتار والمغوليين :

في قديم الزمان كانت عدة قبائل تقطن في تركستان (روسيا) ومنغوليا (الصين) يقال لها « التتر » وكان من رؤسائها جنكىز خان (١١٦٣ - ١٢٢٧) وقد كان رجلاً ذا كفاءات غير عادية ، جمع ألفي مناضل تحت قيادته وسار بهم من بلاد الصين حتى انتهى إلى إيران ، هازأ بفتحه آثار أركان الدول جميعاً فيما بين البلدين .

وعقبه استمرت هذه القبائل قدماً إلى الأمام ، إلى أن طلع هولاكو خان (١٢١٧ - ١٢٦٥) وقام بإنجاز ما كان ينويه جده (جنكىز خان) من إبادة المملكة الإسلامية وتدميرها ، فقد قضى على العاصمة بغداد وخرابها ، وقتل الخليفة العباسي (المستعصم بالله) شرّ قتلة ، ذلك بأن الأمراء التتر كان قد بلغهم من خوارزم شاه الملك المسلم شيءٌ أثار غضبهم ، فتصدوا للتطويع بالململكة الإسلامية

وتصفيتها .

وقد كانت هذه الكارثة من أفعى وقائع التاريخ الإسلامي ، وقد بلغت مهابة التر واستبدادهم في السيطرة على العالم الإسلامي لدرجة ، حتى صار يقال : « إذا قيل لك إن التر انهزوا ، فلا تصدق » .

ومن يلاحظ أن هذه المشكلة باللغة الضخامة لم يمكن حلها إلا عن طريق الدعوة . إن الغزارة التر لما فرغوا من استنزاف دماء المسلمين بأقصى ما وسعهم ، غمرهم المدح ، وخدمت نيران عواطفهم الثأرية . وبعد ذلك أخذوا دين رعيتهم بشيء من الاعتبار ، وتناولوه بالتفكير فيه بجدية وإمعان ، وبما أن ثمة مناسبات كثيرة كانت تجمع التر بالمسلمين ، وكان قد سبق إلى بيوتهم عدد لا يحصى من سبايا المسلمين رجالاً ونساء ، ثم كانت بوعاث شتى تحدو بتوري إلى أن يقابل مسلماً كل اليوم على الشوارع ، وفي الأسواق ، وما إلى ذلك من الأمكنة ، كما كان المسلمون أنفسهم يختلفون إلى بلاط الأمراء التر ، فعن مثل

هذه الطرق المختلفة استطاع التتر أن يتعرفوا على الدين الإسلامي ، ويلمّوا بتعاليمه ومحاسنه .

وعلى إثر ذلك ، طفقو يعتنقون الإسلام ، فأسلم أول من أسلم أمراؤهم وأشرافهم ، ثم تبعهم عامة التتر ، حتى دخلت أغلبيتهم في حظيرة الإسلام ، وذلك ما جعل الذين كانوا أمّس قد هدموا صرح الإسلام يصبحون الآن بناء صرح الإسلام من جديد ، وقد كتب البروفيسور آرنولد ، حين أورد هذا الحادث الدعوي العظيم للتاريخ الإسلامي يقول :

« إن الفاتحين قد اعتنقا دين المفتوحين » The conquerors have accepted the religion of the conquered ».

وكتب البروفيسور فيليب حتى ، حين ذكر هذا الحادث في كتابه « تاريخ العرب » يقول : The religion of the Muslims had conquered where their arms had failed (p.488) « إن دين المسلمين قد

حظي بالانتصار بينما كانت أسلحتهم قد باءت بالفشل ». .

الدعوة قوة لا ينضب معينها :

إن الدعوة هي قوة لا تزال تتوفّر لدى المؤمنين حتى ولو فقدوا أو سلّبوا كل ما يملكونه ، وثمة في بلاد أفريقيا مثال رائع يؤكد ذلك ، علاوة على ما فيه من دروس وعبر لمن أراد الاعتبار .. وقد تصدّى البروفيسور آرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) لعرض كيف كان امتداد نفوذ الإسلام إلى قبائل البربر في الجزائر ، وهذه القبائل كان أكثر الناس فيها ممن يدينون بالديانة الوثنية القديمة ، كما كان فيهم عدد غير كثير من المُتدينين بال المسيحية .

كانوا يسكنون في مناطق جبلية ، ولإحاطة الجبال بهم كانوا في حصار ومنعة من الهجمات الخارجية ، ونتيجة لمزاجهم القبلي كانوا قد شربوا الاستبداد والحب الزائد للاستقلال الذاتي ، فما زالوا يصدون العناصر العربية من التسرب إليهم ، إلى مدة غير قليلة ، وأجل ذلك كان هناك في طريق هدفهم إلى الدين الإسلامي عقبات عديدة صعبة ،

وكان قد حاول رجال الصوفية لزاوية تسمى « ساقية الحمراء » المنتسبة إلى الطريقة القادرية ، أن يضعوا هناك قواعد نشاط تبليغي منظم إلا أنهم لم يتمكنا من إحراز النجاح في محاولاتهم تلك ، وإنما الفضل في تمهيد الطريق نحو نشر الدعوة بينهم يرجع إلى المسلمين الأندلسيين الذين كانوا قد جاؤوا إلى هذه الزاوية ، بعد أن لفوا عن بلاد أسبانيا عقب سقوط غرناطة في سنة ١٤٩٢ ميلادية . إنَّ شيخ الزاوية توسم فيهم الخير وأدرك أنهم أ��فاء مؤهلون للغاية ، لمهمة التبليغ الشاقة ، تلك التي لم يكتب لجهود تلاميذه فيها نجاح ، وقبل أن يعيشهم لهذه المهمة ، خاطبهم بهذه الكلمات .

« إن واجبنا ، أن نحمل مشعل الإسلام ، إلى تلك البقاع والأصقاع ، التي ظلت محرومة من بركات الإسلام وحسنته ، وإن هذه القبائل قد زادها شقاء وسوء حال أنها تفقد معاهد تقوم بتربيه أبنائها على المباديء الخلقية ، كما لا يوجد هناك شيخ يعلمهم فضائل الإسلام ومحاسنه ، إنهم

ليقضون حياتهم كالبهائم ، جاهلين بكل ما يتعلّق بالله ، وما يتصل بالدين ، فوددت أن أستثير حماسكم الإيماني ، وحميتكم الدينية ، لكي تضطّلعوا بانتشال هؤلاء الناس مما هم فيه من وحدة الجهالة البايعة على الرثاء قوموا وأهبووا شعلة شعورهم الإيماني ، التي أوشكت أن تخبو ، ولوقدوا شراراتها الكامنة تحت الرماد. من جديد . وطهروهم من أدران المسيحية الفاسدة ، التي كانوا عليها من قبل ، والتي لم تزل عالقة بهم إلى الآن ، وأحيطوهم علماً بما يشتمل عليه ديننا القيم من حقائق نيرة ، ومفاهيم سامية ، وأخبروهم بأن الإسلام - على العكس من الديانة المسيحية - دين الطهارة وإن الله وفق تعاليم سيدنا محمد المرسل إلينا بهذا الدين لا يحب ولا يقبل شيئاً غير طاهر .. وهذا لا يسعني إلا أن أُعترف بصراحة ، أن في طريقكم هذا - الذي أنتم سالكوه - صعوبات وعوائق كثيرة ، إلا أنني لست بقاطنٍ من فضل الله ولطفه بل إنني على أكمل يقين أن حميتكم الإسلامية الغلابة ، وحماسكم الإيماني الجبار ، سينغلبان على كل العقبات والصعوبات في نهاية الأمر .

فانطلقو يا أفالاذ كبدي ! إلى هذه الأمة البائسة
الشقيقة ، المتر Burke في أوحال الجهل والكفر والوثنية ،
وعودوا بها إلى سبيل ربه ، وهدى رسوله ، وبلغوها رسالة
النجاة والصلاح ، صحبيكم الله ورعاكم » .

فانطلق هؤلاء المبلغون لابسين ثياباً وسخة بالية ،
أخذين بأيديهم العصي ، متخذين هيئة جماعات متألفة من
خمسة أو ستة رجال ، وانتشروا إلى مختلف الجهات
والأطراف ، واختاروا كهوفاً ومعارات بين الصخور والجنادل ،
مناطق غير مسكونة واتخذوا هناك بين الصخور والجنادل ،
زاوية ومعابد ، وبعد زمن قليل اشتهروا في القبائل لورعهم
وتنسكمهم ، فبدأت هذه القبائل تختلف إليهم . وبما كان
عندهم من معرفة بالطب ، والحرف اليدوية ، وما إلى ذلك
من مهارات أخرى ذات فوائد كبيرة للحياة الاجتماعية ،
ذاع صيتهم ، وصار لهم نفوذ عظيم في نفوس قبائل البربر ،
حتى تحولت كل زاوية من زواياهم إلى مركز إسلامي
للتعليم والدعوة وقد اجتمع حول أولئك الغرباء كثير من

الناس للاغتراف بما عندهم من ثروة علمية وفضائل أخرى ، وإن هؤلاء الطلبة هم الذين أصبحوا فيما بعد ، كوادر ، اضطاعت بنشر رسالة الإسلام بين بني جلدتهم ، حتى انتشر دينهم بين جميع قبائل البربر ، وتغلغل في كل منطقة من مناطق الجزائر . [كتاب : الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٨ : ١٢٩] .

الإسلام في جزر الملايو :

يبلغ عدد المسلمين في جنوب شرق آسيا إلى مائة مليون مسلم ، وفي أندونيسيا فحسب ، يبلغ عددهم مائة وعشرين مليون مسلم ، ومن غير شك أن هذا العدد يفوق كل قطر من الأقطار الإسلامية ، وأكثر النواحي روعة وتأثيراً في ضخامة عدد المسلمين في هذه المناطق ، هو دخولهم في الإسلام الذي لم يكن إلا عن طريق العمل التبليغي الخالص ، فإن المسلمين لم يتجهوا إلى هذه المناطق في يوم ما بأي هجوم عسكري .

وكان ظهور الإسلام في هذه المناطق بصورة واضحة

في القرن الثالث عشر الميلادي ، وهذا القرن هو الذي طرأ فيه التدهور والاخلال على قوة المسلمين السياسية . كتب البروفيسور . ت ، دبليو آرنولد يقول : إن تاريخ جزر الملايو للقرون الستة الماضية لينطوي على فصل رائع جداً للتاريخ الإسلامي ، حيث كان الإسلام قد انتشر عن طريق الجهود التبلغية ليس إلا » (ص ٣٦٧) .

إن القرن الثالث عشر ، هو القرن الذي سقطت فيه الدولة الإسلامية في إسبانيا ، وهذا القرن هو الذي كان الإسلام فيه يشق طريقه إلى السيطرة الفكرية على جزر الملايو . وقد كتب الدكتور كرافورد Dr. Craw Ford () مثيراً إلى ذلك يقول : « إنه من غريب الصدف ، أن الدين الإسلامي كان يمتد نفوذه إلى آسيا ، في حين كان قد نفي عن البلاد الأوروبية » It may be remarked as a singular co-incidence that the Mohamedan religion was extending itself thus in Asia at very Time it was expelled From Europe ».

وكتب البروفيسور آرنولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » يقول :

« .. غير أن السنين المتأخرة ، أسفرت عن سقوط المملكة الإسلامية ، والخلال قوة الإسلام السياسية ، إلى أقصى حد ، ولكن فتوحاته الروحية ، لم تزل مستمرة من دون أن يعيقها عائق . فعندما قام المنغوليون بالقضاء على بغداد في سنة ١٢٥٨ ، وأغرقوا بجد الخلافة العباسية في الدماء ، وعندما قام فرديناند في سنة ١٢٣٦ بإجلاء المسلمين عن قرطبة ، ودفع سلطان غرناطة المسلم إلى الملك المسيحي الخراج ، كان الإسلام قد تمكّن من نفوذه إلى سومطرة ، وكان يخطو خطوات موقعة نحو الاستيلاء على جزر الملايو لقد قُيَضَ للإسلام أن يحرز بعض فتوحاته الروحية ، البالغة الروعة والمشيرة للإعجاب ، في حين كان قد أحاط به الأخلال السياسي » (ص ٢) :

وكتب فان لير (Van Lear) يقول :

« إن أي شخص يدخل في تاريخ أندونيسيا ، فكأنما

هو يدخل في عالم مجهول تماماً ، إن الناس على العموم يظنون أن هناك قوة طلسمية « خارقة للعادة » هي التي كانت قد أدخلت سكان جنوب شرق آسيا في الإسلام .

نعم هناك قوة خارقة للعادة كانت تعمل وراء هذا المد الإسلامي . ولكنها - لم تكن أية قوة طلسمية بل إنما هي قوة الإسلام الدعوية . ولا ريب أن القوة الدعوية الإسلامية ، تنطوي تحتها إمكانية جبارة لأن تجذب الناس إليها ، وتضطرهم إلى الدخول في الإسلام .

لقد دخل الإسلام في هذا المناطق بأيدي التجار ، وإن ما يتصرف به التاجر من سلوكيات هي نفسها سلوكيات الداعي وخير الدعاة من يعامل المدعو بما يعامل به التاجر زبائنه ، ومثل هذا الداعي لا يمكن أن تبوء مهمته بالفشل . وقد كتب إيلكس دي توكونفيل (Alex de Toqueville)

« إن التجارة تقنل عواطف العنف والتعسف ، وهي تستحب القصد والتراضي المتبادل ،

والناجر يتحرز بشدة من أن يُعرض عن زبائنه وهو في حالة الغضب ، إن الناجر يكون صبوراً أياً صبر ، والتجارة هي التي تخلق في أصحابها مثل هذه الصفات النبيلة ، لذلك قال بعض المفكرين : إن الله يجعل من التجارة وسيلة للتبلیغ عنه .

”God making commeree His missionary“

الدعوة الإسلامية في القرن العشرين :

إن القرن العشرين - من ناحية - هو قرن الحركات الإسلامية ، ففي هذا القرن ، قام المسلمون بإثارة حركات عظيمة الشأن ، لا يأتي عليها الحصر ، وهذه كلها كانت حركات قد غالب عليها الطابع السياسي والثورى ، مع تفاوت درجة الغلبة بين واحدة وأخرى ، وقد بلغ - من حيث الكمية - ما تمتعت به هذه الحركات من عدد ضخم من الأتباع والأنصار ورصيد هائل من الوسائل والإمكانيات ، درجة كافية لتمكنها من الظفر بالنجاح ، ولكن هذه الحركات لم تلبث - رغم امتداد نفوذها ،

وانتشارها بين قطاعات شاسعة من الناس - أن باهت بالفشل والإخفاق . ولم تزل الأمة منها أية فائدة إيجابية من أي نوع . إن هذه الحركات قد هبّت كالزوابع الهوجاء ، وتلاشت في الفضاء كأنها فقاعات .

إن هذا الوضع المأساوي لل المسلمين في القرن العشرين ، كان من الناحية السياسية ، أما من الناحية الدينية ، فإننا نرى في هذا القرن بعينه أن قوة الإسلام الدعوية ما زالت تجذب وتسخر كثلاً من السكان في كل قطر من أقطار العالم غير أن القادة والزعماء الإسلاميين ، لم يوجهوا شيئاً يذكر من جهودهم وطاقةتهم صوب الميدان المتصل بالدعوة الإسلامية ، ومع ذلك فالإسلام بفضل ما يتمتع به من قوة وجاذبية ذاتية ، لم يزل يتمكن قلوب العالمين .

والذين وفقو إلى اعتناق الإسلام ، خلال المائة سنة الماضية ، في شتى أرجاء العالم ، يتجاوز عددهم الملايين . وفيما يلي نعرض قائمة نموذجية ، تتضمن أسماء العديد

منهم ، وقد أثبتنا مقابل الأسماء سنتي دخولهم في الإسلام .
وهذه القائمة ستؤدي إلى تقدير كيفية استمرارية اهتمام
الناس إلى الإسلام في كل دور من أدوار القرن الماضي .

1 Prof. Haroon Mustafa Leon	England	1822
2 Mohammed Alexander Russled Webb	U.S.A	1890
3 Dr Nishikanta Chattopadhyha	Hyderabad	1904
4 Lord Headly al-Farooq	England	1913
5 Dr William burchell B. Pickard	England	1922
6 Sir Abdulla Archibald Hamilton	England	1923
7 Mohammad Marmaduke Pickthall	England	1935
8 Mohammad Leopoled Asad	Austria	1926
9 Dr Abdul Karim Germanus	Hungary	1940
10 Dr Ali Mohammad Mori	Japan	1947
11 Dr Ali Selman Benoist	France	1955
12 Dr R.L. Mellema	Holland	1955
13 Ibrahim Khalil Phillips	Egypt	1960
14 Prof. A.H.B. Hewett	U.S.A	1966
15 Umar Bongo (President, Gabon)	Gagon	1973
16 Dr Roger Garoudy	France	1982
17 Moosa Fondi	Tanzania	1986
18 Abdullah Adiar	Madras	1987

كل هؤلاء من الذين قاموا بدراسة الإسلام بناءً على رغبة ذاتية أو جهود شخصية ، وأسفرت هذه الدراسة عن تأثيرهم العميق بتعاليم الإسلام لدرجة أنهم لم يلبثوا أن اعتنقوه . وقد تعلم عديد منهم اللغة العربية حتى يتمكنوا من فهم الإسلام بصورة مباشرة ، إن القرن العشرين بالنسبة للمسلمين على الصعيد القومي قرن الخيبة والخسران ولكن الإسلام في هذا القرن نفسه ، كان ولا يزال يخوض بخطىٰ حثيثة نحو الأمام .

كلمة أخيرة :

إن التاريخ الإسلامي بأكمله يؤكّد على أن أكبر ما يملّكه الإسلام من قوة هو « الدعوة إلى الإسلام » ، إن الإسلام يطابق الفطرة الإنسانية مطابقة تامة ، وإنه لو عرض على الإنسان في صورته الأصلية ، فلا يلبس أن ينفذ إلى قراره نفسه ، ويتمكن من صميم قلبه ، وهو يجعل المرء مضطراً إلى أن يعترف بحقانيته ، إن الحقيقة هي أن الإسلام في ذاته يحمل قوة تسخيرية ذاتية لدرجة أنه يضطر الناس

إلى التأثر والإعجاب به .

ولكن هذه القوة لا تعمل عملها إلا إذا أزيلت كل العراقيل النفسية بين الإسلام ومخاطبيه . وقد كان المسلمون في القرون الأولى يدركون هذا السر ، إذ تمسكوا بمبداً التسامح بصورة عامة حيثما دخلوا من البلاد والأمم فاتحين ، واعترفوا لكل واحد بالحرية الكاملة فيما يتعلق بدينه ، وكانوا يعلمون أنهم لو فتحوا صراعاً طائفياً مع هذه الشعوب ، أو تناولوا الناس بالاضطهاد والقهر في أمر الدين ، فلتأخذنهم الحمية بالعناد والتعتن ، مما يقودهم إلى إنكار أمر غير قابل للإنكار . وقد اعترف المؤرخ الإنجليزي الشهير ، هنري توماس بكل (١٨٢١ - ١٨٦٢) لل المسلمين الأوائل بهذه الحكمة والتدبر بكلمات واضحة ، حين قال : « إن الدعاة الإسلاميين لعلى جانب عظيم من الحكمة والرواية » .

“The Mohammetan missionaries are very judicious” P. (409).

وفي كتاب (The Preaching of Islam) للبرفيسور آرنولد ، توسع كاتبه غاية التوسيع في عرض أن المسلمين في القرن الأولى ، قد التزموا في كل الأماكن والبلاد ، بعدها التساعي الديني أشد التزام ، وبالرغم من امتلاكهم أزيمة السلطة السياسية لم يتصدوا قط لإثارة الخلافات الدينية ، مع الشعوب غير المسلمة ، وإن هذا هو السبب الأكبر في أن جزءاً كبيراً من المعمورة في العصر القديم ، انضوى تحت الدين الإسلامي .

كذلك اليوم يمكن أن تبرز هذه القوة الدعوية للإسلام ، بكل ما تنطوي عليه من إمكانات تسخيرية ، ولكن ذلك منوط بأن يبادر المسلمون المعاصرون بالقضاء على جميع تلك الصراعات الطائفية التي فتحوها مع جيرانهم من غير المسلمين في كل بقعة من العالم ، إن هذه الصراعات الطائفية والتي أطلق عليها « الجهاد » خطأ لأكبر عائق في سبيل بروز القوة الدعوية للإسلام ، ويوم أن يتم القضاء على تلك الصراعات ، سيرأخذ يومئذ الفيضان الدعوي للإسلام في التدفق ، وسيقوى يتدفق حتى يبلغ إلى

منتهاه .

إنَّ لِكُلِّ مُجْمُوعَةٍ بَشَرِيَّةً ، نَظَامِينَ ، نَظَامَ لِلْعَقَائِدِ ، وَنَظَامَ لِلْسُلْطَةِ ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُعَاصِرِينَ تَخَلَّفُوا يَوْمَ عَمَّ دُونُهُمْ مِنَ الْأُمُّ وَالشُّعُوبِ بِالنِّسْبَةِ لِنَظَامِ السُّلْطَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ مَا زَالُوا أَقْوَى مِنْ شُعُوبِ الْعَالَمِ حَتَّى يَوْمَ بِالنِّسْبَةِ لِنَظَامِ الْعَقَائِدِ . إِلَّا أَنَّ الْقَادِهِ إِلَيْسَامِينَ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، خَائِضُونَ فِي صَدَامٍ مَعَ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى فِي الْمَيْدَانِ الْمُتَصَلِّ بِنَظَامِ السُّلْطَةِ حِيثُ لَا وَلَنْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ سَوْيَ الْهَزِيمَةِ وَالنَّكْسَةِ وَالدَّمَاءِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَخَلَّوْا عَنْ هَذَا الصَّدَامِ الْعَقِيمِ ، وَجَعَلُوا مِنَ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى مُخَاطِبِينَ لَهُمْ فِي الْمَيْدَانِ الْمُتَصَلِّ بِنَظَامِ الْعَقَائِدِ فَسَرَّعَانِ ما يَشَاهِدُونَ تَارِيَخَهُمُ الْراهنُ الْمَلِءُ بِالنَّكَسَاتِ وَالْهَزَائِمِ ، قَدْ تَغَيَّرَ إِلَى تَارِيَخِ الْفَتْحِ .

فَالنَّهُوضُ ، النَّهُوضُ بِإِسْلَامِ كَقْوَةِ فَكْرِيَّةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يُسْفِرُ فِيمَا بَعْدَ عَنِ اتِّخَادِهِ الْاعْتِبَارَ الْغَالِبَ عَلَى الدُّنْيَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَكْرِيَّةِ ، وَتَأْتِي النَّواحيُ الْأُخْرَى تَبَعًا لِذَلِكِ .. إِذَا قَدِرَ لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونْ طَبِيبًا أَخْصَائِيًّا ، ثُمَّ هُوَ لَا

يوظف كفاءته وإمكانياته في مجال اختصاصه ، بل يهدى
أوقاته في مجال السياسة ، فلا شك أن أصدقائه سيوجهون
إليه النقد اللاذع قائلين له : إنك تضيع أوقاتك الثمينة في
أمور تافهة ، بينما كان عليك أن توظف مادرسته في المجال
العملي لاختصاصك ، حتى تعيش حياة كريمة عزيزة .

نفس الأمر ينطبق على المسلمين في العصر الحاضر ،
فهم في الأصل أمة داعية ، تمتلك الحقيقة التي لا يمتلكها
آخرون ، وبعبارة أخرى يمكن أن نقول وفقاً للمصطلح
التجاري ، إن المسلمين يملكون (Monopoly) في
الساحة الدينية ، فهم وحدهم بين الأمم يملكون الصدق
الأصيل الذي لم تتباه شائبة التحرير والتبديل ، ودينهم
هو الدين التاريخي بكل معنى الكلمة ، في حين أن الديانات
الأخرى هي عبارة عن مجموعة من الخرافات والتقاليد
الموروثة ، فليس ثمة أي دين - عدا الإسلام - يملك
المصداقية التاريخية .

وبهذا الاعتبار كان على المسلمين أن ينهضوا بدينهم ،

غير أن المسلمين المعاصرين إنما يقومون بأعمال أخرى غير واعين بهذا الأمر ، ففي الدول الإسلامية مثلاً ، هم يثرون ضجة سياسية ويخوضون في التناحر مع الحكام الذين تحولوا في نظرهم إلى أعداء نتيجة ردود الفعل ، ونجم عن ذلك ضياع فرص الدعوة في كافة الدول الإسلامية تقريباً .

إن هذا الوضع يتحمل مسؤوليته قادة المسلمين الذين جعلوا الإسلام عنواناً للصراع مع الحكام ، أولئك الذين راحوا يحسون من جراء ما يلاقون من نشاطات غير إيجابية بأن الإسلام يمثل خطراً سياسياً بالنسبة لهم ، فتحولوا إلى أعداء للحركات الإسلامية . وفي الدول غير الإسلامية ، حيث يمثل المسلمون الأقلية ، قام قادة المسلمين بنفس العمل الذي قام به القادة في الدول الإسلامية ، ففي كل الجانبين تجري صراعات غير مجده ، ضاعت من جرائها فرص الدعوة ، مع فارق بسيط بينهما ، وهو أن الصراعات التي تجري في الدول الإسلامية كانت باسم إقامة النظام السياسي للإسلام ، بينما تجري في الدول غير الإسلامية

لإثبات الهوية القومية لل المسلمين .

إن ذلك العمل بنوعيه باطل دونما شك ، والدليل على ذلك الفشل والإخفاق الذي يلاقيه رغم توافر العدد الكافي والإمكانيات الهائلة ، ويبدو من ذلك كأن الله حكم عليهم بالفشل والإخفاق ولو وضعوا الجبال والبحار فوق ظهورهم .

والحقيقة أنه ثمة أمر واحد ينبغي أن يقبل عليه المسلمون ألا وهو أمر الدعوة إلى الله . إن نجاحهم في الدنيا وخلاصهم في الآخرة يرتبطان بهذا الأمر ارتباطاً كلياً ، وهذه هي المسئولية التي ألقى الله على عاتقهم للأبد . فإذا ما نهضوا بذلك العمل فسوف يجعلون أنفسهم أحق برحمه الله الواسعة ، وإذا تخلفو عنده فإنهم سيقعون في قبضة الله ، والحركات التي فجروها باسم الإسلام سوف لن تنقذهم من قبضته تعالى .

الفهرس

٥	تاريخ الدعوة إلى الإسلام
٩	الحماية عن طريق الدعوة
١٢	شهادة التاريخ
١٦	اعتراف
١٧	التخطيط الإنساني والتبيير الرياني
١٩	كلمة مُسَخَّرة
٢١	الهجرة إلى الحبشة
٢٤	إسلام عمر بن الخطاب
٢٦	إسلام قبائل يثرب
٢٩	انتشار الإسلام في المدينة
٣٢	الهجرة إلى المدينة
٣٦	مدى انتشار الدعوة الإسلامية بعد صلح الحديبية
٣٩	الدعوة قوة لا تقهق ولا تفني
٤١	المد الإسلامي خارج الجزيرة العربية
٤٦	إسلام الأتراك السلاجقة
٥٠	إسلام التتار والمغوليين
٥٣	الدعوة قوة لا ينضب معينها
٥٧	الإسلام في جزر الملايو
٦١	الدعوة الإسلامية في القرن العشرين
٦٤	كلمة الأخيرة

عنوان المؤلف

ISLAMIC CENTRE

**C - 29 NIZAMUDDIN WEST
NEW DELHI - 110013 INDIA**

TEL 697333 / 611128

إنَّ لِكُلِّ مُجْمُوعَةٍ بَشَرِيَّةً ، نَظَامِينَ ، نَظَامَ لِلعقائِدِ ،
وَنَظَامَ لِلسلْطَةِ ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُعَاصِرِينَ تَخَلَّفُوا يَوْمَ عَمَّ
دُونَهُمْ مِنَ الْأُمَّ وَالشَّعُوبِ بِالنِّسْبَةِ لِنَظَامِ السَّلْطَةِ ، وَلَكِنَّهُم
مَا زَالُوا أَقْوَى مِنْ شَعُوبِ الْعَالَمِ حَتَّى يَوْمَ بِالنِّسْبَةِ لِنَظَامِ
العقائِدِ . إِلَّا أَنَّ الْقَادِيَّةَ إِلَيْسَامِينَ فِي سَائِرِ أَخْيَاءِ الْعَالَمِ ،
خَائِضُونَ فِي صَدَامٍ مَعَ الشَّعُوبِ الْأُخْرَى فِي الْمَيْدَانِ الْمُتَّصِلِ
بِنَظَامِ السَّلْطَةِ حِيثُ لَا وَلَنْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ سَوْيَ الْهَزِيمَةِ
وَالنَّكْسَةِ وَالدَّمَاءِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَخَلُّوا عَنْ هَذَا الصَّدَامِ الْعَقِيمِ ،
وَجَعَلُوا مِنَ الشَّعُوبِ الْأُخْرَى مُخَاطِبِيَّنَ لَهُمْ فِي الْمَيْدَانِ الْمُتَّصِلِ
بِنَظَامِ الْعَقَائِدِ فَسَرَعَانَ مَا يَشَاهِدُونَ تَارِيَخَهُمُ الْرَّاهِنُ الْمَلِيءُ
بِالنَّكَسَاتِ وَالْهَزَائِمِ ، قَدْ تَغَيَّرَ إِلَى تَارِيَخِ الْفَتْحِ .

الناشر

الرسالة للإعلام الطولك

٧ ش الشَّيْخِ مُحَمَّدِ النَّادِي - مَكْرُمِ عَبِيد - مَدِينَةُ نَصْر

٢٦٢٢٨٤٠ - ٢٦٢٢٣١٠٥ ①